

# الإِتِّمَامُ وَنَبْذُ الْفِرْقَةِ

لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء عضو اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى به وأعدّه

أبو عبدالرحمن عادل بن علي بن أحمد الفريدان



مكتبة الفرقان

تليفون: ٠٦-٧٤٤٤٤٣٥، فاكس: ٠٦-٧٤٢٤٠٩٤

ص.ب: ٢٠٢٨٨ - عجمان - ع.م.

E-mail: furqan1@emirates.net.ae

www.furqan1.net.ae

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الإجتـام ونبذ الفرقة

لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء عضو اللجنة الدائمة للافتاء

اعتنى به وأعدّه

أبو عبد الرحمن عادل بن علي بن أحمد الفريدان



مكتبة الفرقان

تليفون: ٠٦-٧٤٤٤٤٣٥، فاكس: ٠٦-٧٤٤٤٠٩٤

ص.ب: ٢٠٢٨٨ - عجمان - م.ع.ا

E-mail: furqan1@emirates.net.ae

www.furqan1.net.ae

ح - صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ١٤٢٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان ، صالح بن فوزان بن عبد الله  
الاجتماع ونبذ الفرقة / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ،  
أبو عبد الرحمن الفريدان ، الرياض ، ١٤٢٥ هـ

٣٧ ص ، ١٧ X ١٢ سم

ردمك : ٢ - ٥٣٧ - ٤٤ - ٩٩٦٠

١ - الفرق الإسلامية ، أ- الفريدان ، أبو عبد الرحمن (معد) ب. العنوان

١٤٢٥/٧٤٢

ديوي ٢٤٥

## مقدمة (\*)

الحمد لله على فضله وإحسانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد

فإن إجتماع المسلمين ونبذ الفرقة فيما بينهم أصل عظيم من أصول الدين أمر الله تعالى به وأمر به النبي ﷺ .

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup> وقال ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> وقال النبي ﷺ (إن الله يرضى لكم ثلاثاً، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولادة الله أمركم)<sup>(٣)</sup> ومن

(\*) ألفت هذه المحاضرة بمدينة الإحساء في ١٥/٣/١٤٢٤هـ.

(١) سورة آل عمران آية: ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران آية: ١٠٥ .

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ كتاب الكلام باب ما جاء في إضاعة المال وذوي الوجهين ورواه مسلم بنحوه في صحيحه ٣/ ١٣٤٠ =

المعلوم أنه لا دين إلا باجتماع الكلمة - ولا اجتماع إلا بإمامة وقيادة، ولا قيادة إلا بسمع وطاعة، كما قال السلف رحمهم الله .

ولقد كان العرب متفرقين قبل بعثة النبي ﷺ متناحرين تقوم بينهم الحروب الطويلة كحرب داحس والغبراء ويوم بعاث، وغيرها من الحروب التي كانت تطول فيما بينهم إلى مائة سنة أو أكثر وهم في صراع فيما بينهم وعداوة وبغضاء وغارات وثورات حتى من الله عليهم ببعثة النبي ﷺ فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى الاجتماع والأخوة فيما بينهم فاستجاب له من كتب الله له السعادة، واجتمعوا تحت راية التوحيد وتحت قيادة النبي ﷺ، فزال ما كان بينهم من شحناء، وعداوة وأصبحوا أخوة متحابين بعد أن كانوا أعداء متنافرين، وذكرهم الله جل وعلا بهذه النعمة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ

= برقم (١٧١٥) كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة . . . كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾

قال ابن عباس: تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف وتبيض وجوه أهل الاجتماع والائتلاف (٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣).

وقال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران الآيات: ١٠٢-١٠٧.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٢/٢.

(٣) سورة الأنفال آية: ٢٦.

(٤) سورة الأنفال الآيتين: ٦٢، ٦٣.

لا يجمع الناس إلا هذا الدين كما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) فلا يجمع القلوب ويوحد الكلمة إلا العقيدة الصحيحة التي جاء بها محمد ﷺ .

ولا يجمع القلوب ويؤلف بين الناس إلا الإيمان بالله وبرسوله، هذا هو الذي يجمع بين الناس، ولهذا اجتمع المسلمون على رسول الله ﷺ وصاروا أمة واحدة وصار لهم هبة في الأرض وانتشر دين الله في المشارق والمغرب بسبب اجتماع الكلمة ووحدة الصف.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> ثم لما توفي رسول الله ﷺ حصل اختلاف بين الصحابة فيمن يتولى الأمر بعد النبي ﷺ وسرعان ما زال وانتهى خلافهم واجتمعت كلمتهم على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فبايعوه على السمع والطاعة فكان خير القائد بعد رسول الله ﷺ وهكذا كانت دولة الخلفاء الراشدين في عهد أبي بكر وعمر وعثمان ثم

(١) سورة الأنفال الآيتين: ٤٥، ٤٦.

في آخر خلافة عثمان دبر اليهود المكر للمسلمين وأرادوا تفريقهم فدسوا بينهم رجلاً يقال له عبدالله بن سبأ اليهودي فجعل يطعن في أمير المؤمنين عثمان وينشر بين الناس سبه وتنقصه في خفية ومكر وهو يتجول في بلاد المسلمين وينشر أفكاره الخبيثة ضد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه فاجتمع حوله من أوباش الناس وسفهاءهم من مختلف البلدان وجاءوا وحاصروا عثمان رضي الله عنه في بيته واستحلوا دمه وقتلوه رضي الله عنه فحصل بين المسلمين اختلاف شديد رغم أنهم بايعوا الخليفة الراشد الرابع وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكن لم تنته دسيسة اليهود فواصلوا نشر الشر بين المسلمين واختلف الناس على علي رضي الله عنه إلى أن قتل وآل الأمر إلى ابنه الحسن وتنازل الحسن رضي الله عنه عن الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وتنازل الحسن رضي الله عنه اجتمعت الكلمة، وسمى العام الذي تنازل فيه عام الجماعة، فقام معاوية أمير المؤمنين رضي الله عنه بالأمر خير قيام وساس الناس بالعدل والحكمة واجتمعت كل المسلمين في عهده وتحقق ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: عليٌّ بن أبي طالب للحسن بن علي (إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين) <sup>(١)</sup>

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٢٢٢٢/٤ برقم (٧١٠٩) كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنه: (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

فتحقق ذلك بتنازله ﷺ لمعاوية بن أبي سفيان وتم الاجتماع والله الحمد واندحرت فكرة اليهود التي روجوا لها وفسد عليهم الأمر ومع ذلك لم يياسوا ولا يزالون كما قال الله تعالى: ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(١)</sup> لذلك فهم دائماً ما يدسون الدسائس بين المسلمين يريدون بذلك تفريقهم ولكن الله تعالى يقيض للمسلمين من يجتمعون عليه ولو لم يحصل الاجتماع الكامل كما حصل في عهد الخلفاء الراشدين وفي عهد معاوية ﷺ لكن يحصل الاجتماع في بعض البلدان وتقوم جماعات من المسلمين في كل إقليم وفي كل مصر من الأمصار وصاروا دولاً بعد أن كانوا دولة واحدة ولكن كل والٍ من ولاية هذه الدول يقوم في مملكته بالأمر ويجتمع حوله المسلمون والحمد لله .

وما زال الإسلام بخير وما زال المسلمون في خير، وكانت هذه البلاد لها نصيب من الفرقة والاختلاف قبل القرن الثاني عشر وفيه أظهر الله مجدداً وداعياً إلى الله وهو الشيخ المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فدعا الناس إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده لا شريك له، وقيض الله له من ولاية الأمر من قام معه بالأمر من آل سعود فبايعوه على السمع والطاعة والجهاد فتمت البيعة بين

(١) سورة المائدة آية: ٦٤ .

الإمام محمد بن سعود والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب واجتمعت كلمة المسلمين في أول الأمر في بلدهم ثم واصل الشيخ رحمه الله الدعوة إلى الله وكتب البلدان وواصل الإمام محمد بن سعود رحمه الله الجهاد في سبيل الله، وما هي إلا مدة يسيرة حتى توحدت البلاد وسادها الأمن والاستقرار وزال عنها كثير من أمور الجاهلية واستقر الحكم فيها إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وقام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقائم الجهاد في سبيل الله وقائم الدعوة إلى الله عز وجل وتم للمسلمين في هذه البلاد الأمر واجتعت كلمتهم وسادهم الأمن والاستقرار وأنعم الله عليهم بوفرة الأرزاق ولاتزال والله الحمد هذه البلاد تحت ظل هذه الدعوة المباركة وتحت هذه القيادة المباركة. ولاتزال في خير واستقرار وفي أمان، كل ذلك نتيجة الاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف وتوالت لهم دول إلى وقتنا هذا كما ترون نحن نعيش في نعمة والحمد لله؛ صحة العقيدة، وأمن في البلدان واستقرار وحكم للشريعة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وهي نعمة عظيمة يجب شكرها ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (١).

نذكر هذه النعمة ونشكرها كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾<sup>(١)</sup> لانذكرها على سبيل المدح وإنما نذكرها على سبيل الشكر لله تعالى الذي أنعم بها علينا وسببها ظاهر وهو الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالسمع والطاعة لولي أمر المسلمين نعمة نحسد عليها ولكن لاتنسوا أن الأعداء مازالوا يدسون الدسائس فيما بيننا يريدون تفريق كلمتنا ويريدون زوال هذه النعمة عنا لأن الكفار لا يحبون أن يروا الإسلام وهو قائم، لا يرضون بذلك ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فلنكن على حذر من هذه الدسائس وهذه الأفكار التي تروج فيما بيننا لتفريق كلمتنا وبث الأحقاد فيما بيننا حتى نتعادى ونختلف وحتى تسنح الفرصة للعدو ليتدخل وأن يكون له مكان بيننا، ولكن نسأل الله عز وجل أن يرد كيدهم في نحورهم وأن يقي المسلمين شرورهم ولكن لا بد من الانتباه، ولا بد

(١) سورة الضحى آية: ١١ .

(٢) سورة البقرة آية: ١٢٠ .

(٣) سورة البقرة آية: ٢١٧ .

من التذكير بهذه النعمة، ولا بد من التحذير من أسباب زوالها، فإن النعمة إذا لم تشكر فإنها ترفع ويحل محلها النقمة ﴿ذَلِكَ بَأْنُ اللَّهِ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٢).

فيجب علينا الانتباه لهذا وإذا حصل بيننا اختلاف فلنبادر إلى تسويته، وإلى التفاهم فيما بيننا، وأن يرجع المخطيء إلى الصواب ولا يكابر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣).

والرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله (القرآن) والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته بأن يرجع إليه عليه السلام، وبعد موته يرجع إلى سنته كما قال عليه السلام (فإنه من يعيش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم محدثات الأمور

(١) سورة الأنفال آية: ٥٣.

(٢) سورة إبراهيم آية: ٧.

(٣) سورة النساء آية: ٥٩.

فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة<sup>(١)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنتي)<sup>(٢)</sup> فهذا هو الواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ فيما شجر بينهم وأن ينهوا الخلاف والنزاع وأن يحذروا الفرقة والاختلاف والاستمرار في الخطأ فإن الرجوع إلى الحق فضيلة.

والصحاباء رضي الله عنهم كانوا يختلفون في بعض المسائل الفقهيّة ولكنهم يرجعون إلى الكتاب والسنة فمن كان معه الصواب صاروا معه، وأنهوا الخلاف.

هذا عثمان رضي الله عنه يري إتمام الصلاة في منى وكان يصلي بالناس فيتم الصلاة، وكان عبدالله بن مسعود يرى قصر الصلاة في منى

(١) رواه الدارمي في سننه بنحوه ٤٥/١ في المقدمة باب اتباع السنة ورواه الترمذي في سننه ٤٣/٥ برقم (٢٦٧٦) كتاب العلم باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع. ورواه ابن ماجة في سننه ١٥/١ برقم (٤٢) في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المصريين. كلهم من حديث العرباض بن سارة رضي الله عنه ورواه غيرهم.

(٢) رواه أبو داود في سننه ١٨٢/٢ برقم (١٩٠٥) كتاب المناسك باب صفة حجة النبي ﷺ ورواه ابن ماجة في سننه ١٠٢٢/٢ برقم (٣٠٧٤)، كتاب المناسك باب حجة رسول الله ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه.

وكان يصلي مع عثمان ويتم معه الصلاة مع أنه يرى القصر فقالوا له في ذلك فقال: (إن الاختلاف شر)<sup>(١)</sup>، فكان يصلي مع أمير المؤمنين عثمان ويوافقه على رأيه يتم الصلاة تفادياً للخلاف والتفرق وهكذا يجب على المسلمين أن يتلافوا الخلاف والتفرق ولا يصر كل واحد على رأيه، بل يحاولون جمع الكلمة وعدم التفرق والاختلاف، فإذا كان الأمر يرجع إلى اجتهاد فقهي فإن الناس يجتمعون على كلمة واحدة ولا يكون ذلك الاختلاف سبباً للتفرق بينهم، وفيما ضربته لكم من المثال في قصة عثمان وابن مسعود رضي الله عنهما خير شاهد على ذلك حتى في العبادة والصلاة فابن مسعود رجع إلى رأي عثمان وصلى معه وأتم الصلاة تفادياً للفرقة وقال (الخلاف شر).

وفي عهد الإمام أحمد رحمه الله كان المعتزلة استمالوا الخليفة المأمون والمعتصم والواثق فدعوهم إلى القول بخلق القرآن فأجابهم هؤلاء الخلفاء إلى ذلك ثم أشاروا عليه أن يجبر الناس على هذا القول فأجبر الناس عليه وصار يرهبهم ويعذبهم حتى الإمام أحمد رحمه الله تناولوه بالضرب والسجن ليقول بخلق القرآن ويوافق

(١) رواه أبو داود في سننه ٢/٢٠٥، ٢٠٦ برقم (١٩٠٦) بنحوه كتاب المناسك باب الصلاة بمنى. من حديث عبدالرحمن بن يزيد..

الجهمية، فأبى رحمه الله وقال: هاتوا لي دليلاً من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهم يضربونه ويغشى عليه فإذا أفاق قالوا يا ابن حنبل قل كذا فيقول هاتوا لي دليلاً من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ وظل هكذا يردد نفس العبارة حتى قال ابن أبي دؤاد المعتزلي يا أمير المؤمنين اقتله وهو في ذمتي، من شدة العداوة لإمام أهل السنة الإمام أحمد ومع كل ذلك يقول الإمام أحمد هاتوا لي دليلاً من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ (١).

ثم لما اشتد الأمر بعلماء أهل السنة اجتمعوا بالإمام أحمد وقالوا يا أبا عبد الله بلغ الأمر كما ترى، وحاولوه على أنه يخلع إمامة الخليفة، فقال لهم اتقوا الله في دماء المسلمين وحذرهم من ذلك وصبر على المحنة ولم يخلع يداً من طاعة بل صبر على الضرب والتعذيب (٢) لأنه لو خلع يده من طاعة ولي الأمر لحصل ضرر عظيم وسفكت الدماء وتفرقت الكلمة واختل الأمن فالإمام أحمد عمل بقول رسول الله ﷺ (اسمع وأطع ولو أخذ مالك

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٦، ٢٤٧ من ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

(٢) انظر السنة لأبي بكر الخلال ص ١٣٣ والآداب الشرعية ١/١٩٥،

وضرب ظهره<sup>(١)</sup> فصبر رضي الله عنه لأجل جمع الكلمة وتفادي الفرقة والاختلاف، فواجب أن نسير على هذا الذي سار عليه سلفنا الصالح، وأن نتناسى الاختلاف فيما بيننا بمعنى أننا لا نتفرق في مسائل لها احتمال هي عن اجتهاد ما لم يبلغ الأمر إلى الكفر فإننا نصبر على طاعة ولي الأمر قال عبارة بن الصامت رضي الله عنه دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا: أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان<sup>(٢)</sup> وذلك لأجل جمع الكلمة وتفادي اختلال الأمن وسفك الدماء، لأن ما يحصل من الفرقة والاختلاف أشد بكثير من الصبر على بعض المخالفات التي لا تصل إلى حد الكفر ولا إلى حد الشرك وهذا هو أصل أهل السنة والجماعة أنهم يسمعون ويطيعون لولاة الأمر ولو حصل منهم خلل ما لم يكن هذا الخلل يؤدي إلى الشرك الظاهر والكفر البواح الذي ليس فيه اختلاف كل ذلك من أجل

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ١٤٧٦/٣ برقم (١٨٤٧) ومابعده كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٢٢١٠/٤ برقم (٧٠٥٥، ٧٠٥٦) كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: (سترون بعدي أمور تنكرونها).

جمع الكلمة وتفادياً للفرقة هذا هو منهج المسلمين ومنهج أهل السنة والجماعة وهو مدون في كتب العقائد وهذا أصل عظيم وهو جمع الكلمة وتفادي الفرقة .

وإذا كان عند الإنسان وعي فليتفاهم مع إخوانه من طلبة العلم، يتفاهمون في هذا الأمر ويقارنون بين المفسد والمصالح، ومعلوم أن من قواعد الدين (ارتكاب أخف الضررين دفاعاً لأعلاهما)، وهذه قاعدة عظيمة، ونحن الآن كما ترون في وقت فتن ووقت شرور والأعداء يتربصون بنا ويدسون علينا الضغائن والدسائس حتى يفرقوا كلمتنا وحتى نتقاتل ونتناحر فيما بيننا كما حصل لهم ذلك في بلاد أخرى من سفك الدماء ونهب الأموال وضياع الأعراض والقوضى، هم يريدون منا أن نلحق بهذه البلاد التي دمروها وخربوها فعلينا أن نتنبه لهذه الدسائس والأحاييل الباطلة وأن نجتمع على كلمة واحدة على دين الله وعلى عقيدة التوحيد وعلى السمع والطاعة لولاة أمورنا وأن نتناصح فيما بيننا، وأن نتلافى الخلاف الذي يؤدي إلى الفرقة؛ والذي عنده رأي أو فكر أو اجتهاد في مسألة من المسائل يخالف اجتهاد الآخر علينا أن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ونأخذ بالدليل وننهى خلافنا، كما حصل من الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله صلوات الله عليه وآله اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة والرسول صلوات الله عليه وآله مسجى بعد موته فلم

ينشغلوا بتجهيزه بل اشتغلوا بإنهاء الخلاف، فاجتمعوا في السقيفة وما تفرقوا إلا وقد بايعوا الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فلما انتهى الخلاف واجتمعت الكلمة انصرفوا إلى تجهيز الرسول صلى الله عليه وسلم. فهذا يدل على أنهم لم يتركوا الخلاف بين المسلمين يتفاقم ويتشتر، بل بادروا في إزالته وتوحيد كلمة المسلمين وإغاظة العدو وسد الطرق التي يتسلل إلينا منها . . .

فعلينا أن نتبه لهذا الأمر وأن نحافظ على هذه النعمة ونحافظ على هذا الاجتماع الطيب، على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما علينا أن نسعى بالنصيحة لمن رأينا عليه خطأ أو خللاً فإننا ننصحه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما قال صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة ثلاثاً . . . قالوا: لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)<sup>(١)</sup>.

فالنصيحة مأخوذة من نصح الشيء إذا خلص<sup>(٢)</sup> فالنصيحة هي الخلوص من الغش والخلوص من الخيانة، لئلا يكون في قلوب بعضنا على بعض غش أو خيانة فيما بيننا، أو فيما بيننا وبين ولي

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ٧٤/١ برقم (٩٥) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٢) انظر المحكم والمحيط الأعظم ٣/١٥٧ مادة -مقلوبة- (ن ص ح).

أمرنا، بل نكون ناصحين ظاهرنا كباطننا ناصحين للمسلمين ليس في قلوبنا غش أو خديعة، وإنما ينشر الخلاف ويفرق بين الناس أهل النفاق ومن ورائهم الكفار من اليهود والنصارى الذي يؤججون نار الخلاف وينشرونه بين المسلمين.

وينبغي أن يُعلم أن المسائل المصيرية في حياة المسلمين لا يتناولها كل أحد بل ينبغي أن ترفع للعلماء وأهل الرأي والمشورة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١).

فالأمر لها مداخل ولها أصول ولها أهلها الذين يقومون بها ليس من حق كل أحد أن يتدخل في الأمور العامة وإنما يرد هذا الأمر إلى أهله أهل العلم وولاة الأمور ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾ (٢) هذا في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد موته ترد الأمور إلى سنته وسنته، يعرفها العلماء فيرد إلى العلماء الذين يعرفون سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) سورة النساء آية: ٨٣.

(٢) سورة النساء آية: ٨٣.

والمسلمون كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضهم بعضاً فكل شيء له مرجع وإلا صارت الأمور فوضى فالمسائل العامة والمسائل المصيرية ترد إلى المراجع المعتمدة إلى أهل الرأي والبقية تبع لهم .

فكل عليه مسئولية حسب ما يليق به فلا يتدخل أحد في اختصاص الآخر فهذا ليس من الصلاح ولا من الإصلاح بل هذا من الفوضى، وليس هذا من النصيحة لأمة المسلمين وعامتهم بل هذا مما يضر المسلمين ويشتت آراءهم وتحدث بينهم البلبلة والتصدع، فالمسلمون جماعة واحدة لهم رؤوس ولهم قادة كما قال الشاعر:

البيت لا يُبنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد  
فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا  
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا  
فليست الأمور فوضى، لأن الفوضى لا يرضى بها الله ولا رسوله ولا المسلمون، فالمسلمون لهم قادة ولهم علماء ولهم مراجع يتولون مهام الأمر والمشكلات العامة التي تتعلق بها مصير المسلمين، فيجب أن نتبه لهذا الأمر وأن نتناصح فيه وأن ننصح إخواننا الذين يتعجلون الأمور ونقول لهم: هذا ليس إليكم - أصلحكم الله - هذا إلى مصادره ومراجعته، أنتم عليكم بشؤونكم

الخاصة وبما يتعلق بكم، أما أمور المسلمين العامة فهذه لها مصادرها ولها مرجعها ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup> لاسيما عند الفتن التي تحدث في المجتمع فهذه لا نتناولها في مجالسنا ولا يتكلم فيها الصغير والكبير والجاهل والمتعلم وكل منهم له رأي فيها فهذه فوضى، فالمسلمون كالجسد الواحد وكل عضو له وظيفة فلا يقوم عضو بوظيفة العضو الآخر، كذلك فلا يتولى رعايا الناس وصغار الأسنان والمبتدؤون في طلب العلم يتولون المسائل الكبار التي تتعلق بمصير الأمة ومصالحها، هذه لها أهلها المنوطة بهم، وأنت لك شأن خاص في خاصة نفسك وفي أهل بيتك وأولادك فأنت راع على من تحت يدك، ولهذا يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كلكم راعي وكلكم مسؤول فالإمام راع وهو مسئول والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة)<sup>(٢)</sup>

فليس من صلاحيات الإمام أن يتدخل في البيت فاليوت يتولاها أصحابها وليس من صلاحيات أصحاب البيوت أن

(١) سورة النساء آية: ٨٣.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه ٣/١٦٦٧، ١٦٦٨ برقم (٥١٨٨) كتاب النكاح باب (قوا أنفسكم وأهليكم) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وورد بلفظ قريب منه برقم (٥٢٠٠) من الصحيح.

يتدخلوا في شأن الإمام ولكن كل له مسئوليته وكل له رعيته يقوم عليها، أما أن يتدخل هذا في شئون هذا فهذه فوضى ولا تصلح، ونرجو من إخواننا وأبنائنا أن يفهموا هذا الأمر لا سيما في هذه الظروف الصعبة. ويبعدوا عنهم الاختلاف وتشتت الآراء والتدخل فيما لا ينفع الإنسان فإن هذا ليس من مصلحة المسلمين وإنما يضرهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

## الأسئلة

س: فضيلة الشيخ: ينادى المسلمون بالإجتماع ونبذ الاختلاف ولكن كيف يتم ذلك مع اختلاف مصادر التلقي عند أبناء الصحوة الإسلامية مما جعلهم يعيشون في دوامة الانحرافات الفكرية والتخبطات المنهجية، ولذا نرجو علاج هذه القضية الخطرة؟

الجواب: نعم هذا سؤال مهم وهو أنه لا بد للناس من طلب العلم ولا بد للناس من أن يتعلموا، ولكن أين يتعلمون، يتعلمون على أيدي أهل العلم ويتلقون العلم على أهله ومصادره الأصيلة كما كان سلفنا الصالح رحمهم الله كانوا يتلقون العلم عن العلماء ويسافرون إليهم ولو في أقصى البلاد ويصبرون على التعب والجوع والمشقة والغربة ويسافرون لطلب العلم عن أهله كما قال قائلهم: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فلا تأخذوا العلم إلا عن أهله المعروفين به، لا تأخذوا العلم عن كل أحد، فلا تأخذوا العلم عن مضلل أو ضال في عقيدته أو في دينه، أو مبتدع، خذوا العلم عن العلماء من أهل السنة والجماعة المعروفين بالعلم ولو أن تسافر

إليهم وتسكن عندهم .

واليوم والله الحمد الأمور ميسرة فسهل الآن التلقي عن أهل العلم في المساجد والمدارس والمعاهد وفي الجامعات، لا تتلقى العلم عن كتب تقرأها فتفهم خطأ وتعتمد عليه، كما لا تتلقى العلم عن صغار السن المبتدئين الذين لم ترسخ أقدامهم في العلم، وأشد من ذلك لا تتلق العلم من المبتدعين الضالين، بل تلقه من مصدرة الصحيحة المعتمد عليها وهي ميسرة والله الحمد، وإذا أشكل عليك شيء فالهاتف والجوال موجودان، أسأل، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالأمور ميسرة ولكن بعض الناس لا يريدونها ولا يرى العلماء شيئاً ولا يخضع لهذا الأمر، أو بعضهم ما عنده صبر لتلقي العلم، وتلقي العلم يحتاج إلى صبر طويل ووقت والعلم كما يقولون، إذا أعطيتك كلك أعطاك بعضه، والله جل وعلا يقول: ﴿فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> فلا تظن أنك إذا قرأت صرت عالماً،

(١) سورة الأنبياء آية: ٧ .

(٢) سورة يوسف آية: ٨٦ .

ومن قال أنا عالم فهو جاهل كما يقول العلماء فالإنسان دائماً بحاجة إلى العلم والله جل وعلا قال لرسوله الذي هو أعلم الخلق، قال له ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١) فالرسول ﷺ بحاجة إلى زيادة العلم فكيف بك أنت، فعليك بمعرفة قدر نفسك واعلم أنك جاهل بحاجة إلى العلم فلا تظن أنك تستغني عن العلم وتستغني عن العلماء.

س: في باب الاجتماع ونبذ الفرقة، وفي لمّ الشمل وجمع الكلمة نأمل من معاليكم التكرم بتوجيه كلمة لشبابنا الذين هم في الأصل على منهج السلف الصالح لأهمية تخلقهم بأخلاق السلف الصالح والتماس العذر للمخالف من إخوانهم من أهل السنة والجماعة في الأمور التي تختلف فيها الأفهام وإساءة الظن والحديث عن النيات خصوصاً من له مسوغ من قول بعض أهل العلم في هذه البلاد.

الجواب: هذا هو ما ذكرنا؛ فالإنسان لا يعتمد على علمه هو فيكون فهمه خطأ لاسيما إذا كان ما عنده قواعد علمية، ما درس قواعد العلوم ومادرس المتون ولا فهمها، وإنما

أخذ الأمر بالمطالعة، وهذا لا يصلح، فيجب طلب العلم والجلوس بين يدي العلماء، يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة

تجرع كأس الجهل طول حياته

فلا بد من الاتصال بأهل العلم، ولا تحتقر العلماء وتقول هم لا يفهمون ولا عندهم فهم في الواقع وأنهم يعيشون في بروج عاجية كما يقول بعضهم ويزهد في العلماء ويحقرهم ويتهمهم بالانعزال والانطواء وأنهم مشغولون بفقهه بالجزئيات، فهذا كله كلام للتفسير من أهل العلم والفصل بين الشباب والعلماء، وإذا بلغ الأمر إلى هذا الحد فقل على الأمة السلام ولا حول ولا قوة إلا بالله.

س: كانت هذه البلاد ولا تزال بحمد الله تسير على منهج السلف الصالح وكان أهلها متحابين من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها فما أسباب هذه التفرقة والاختلاف الذي نراه اليوم وهل هذه الفرق والجماعات التي نراها كلها على خير وهل يجب بينهما وحدة الصف لا وحدة الرأي كما يقال.

الجواب: نطلب من الله عز وجل أن يثبت أهل هذه البلاد على

الحق وتجنب الفرقة، قال الله جل وعلا ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup> فنصح إخواننا الذين صار عندهم بعض الاختلاف أو بعض التفرق في الرأي أن يرجعوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ وإلى منهج السلف الصالح ويلزموا ذلك والمخطئ يرجع عن خطئه والمصيب يحمد الله على الصواب ويسأل الله الثبات عليه فهذا هو المطلوب، وأما من يقول بوجوب وحدة الصف دون وحدة الكلمة فهذا مستحيل وهذا تناقض فكيف يتوحد الصف مع اختلاف الكلمة لا يمكن أن يتحد الصف مع اختلاف الكلمة، إنما يتحد الصف مع وحدة الكلمة.

س: هل تعد ما يسمى بالجماعات الإسلامية والمناهج من الاختلاف الممنوع أم من الاختلاف الجائز.

الجواب: ليس هناك مناهج متعددة إنما المنهج واحد هو منهج الكتاب والسنة الذي عليه سلف الأمة وما خالف هذا المنهج فهو مرفوض ومردود، قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا

(١) سورة الأنعام آية: ١٥٣.

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾<sup>(١)</sup> فننصح إخواننا الذين صار عندهم بعض الاختلاف أن يرجعوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ وإلى منهج السلف الصالح ويلزموا ذلك والمخطيء يرجع عن خطئه والمصيب يحمد الله على الصواب ويسأل الله الثبات عليه وهذا هو المطلوب.

(١) سورة الأنعام آية: ١٥٣.

## أكثر من قضية

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذه قضايا تروج في الساحة وتختلف وجهات النظر حولها ويتناولها الكبير والصغير والعالم والجاهل والناصح مما يسبب تشويشاً على الأفكار وحيرة بين الناس. وهذه القضايا:

أولاً: قضية توجيه الشباب. لاشك أن الشباب هم عماد الأمة بعد الله. والأعداء يركزون عليهم أكثر ليضلوهم عن سواء السبيل حتى تخسرهم أمتهم تارة بترويج الأفكار الهدامة، وتارة بترويج المخدرات، وتارة بالإغراء بالشهوات، وتارة بالخروج على مجتمعهم ومحاولة تدميره والإخلال بأمنه. وتارة ببث المناهج الحزبية والتفرقات الجماعية حتى يصبح ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>. ولاشك أنه يجب على الأمة حيال هذه التوجهات المختلفة حماية شبابهم منها. وأول من يخاطب بذلك الوالدان فهم المريان الوحيدان للطفل في أول نشأته. قال النبي ﷺ: «كل

(١) سورة الروم آية: ٣٢.

مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»<sup>(١)</sup> والله تعالى يقول لهذا المولود إذا كبر ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>. ثم على المدرس قسسط أكبر من توجيه الشباب وهم على مقاعد الدراسة، فالطالب يتأثر بأستاذه وتنطبع فيه ممارساته لأنه يرى فيه القدوة والموجه. فعلى المدرس أن يغرس في الطالب العقيدة الصحيحة والمنهج السليم والأخلاق الفاضلة والسير على منهج السلف الصالح كما قال الإمام مالك رحمه الله: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها». ثم على المجتمع عموماً وعلى العلماء خصوصاً العناية بتوجيه الشباب ومقاومة الأفكار الوافدة والمناهج المنحرفة وبيان ما فيها من تضليل وتلبيس ومكر وخداع. وعلى ولاة الأمور - وفقهم الله - بما أعطاهم الله من السلطة وحملهم من المسؤولية المحافظة على شباب الأمة ومنع تسربات الأفكار الدخيلة والمناهج المشبوهة ودعاة الضلال إليهم. فإذا تضافرت الجهود وبذلت الأسباب حصلت النتائج الطيبة - بإذن الله - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ١/ ٤١٠ برقم (١٣٨٥) كتاب الجنائز

باب ما قبل في أولاد المشركين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الإسراء آية: ٢٤.

وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ .

ثانياً: قضية الحوار والمناظرة. لاشك أن الحوار المثمر والمناظرة الجادة إذا كان يقصد بهما بيان الحق والدعوة إليه أن ذلك مما أمر الله به. قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣). فنحاور ونناظر المخالف ليرجع إلى الحق ويثوب إلى الرشيد قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٤) ومن لم يرجع إلى الحق بعدما تبين له فإننا نقيم عليه الحجة ولا نتنازل عن شيء من الحق إرضاء للمخالف. فإن هذا من المداهنة. قال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعَمِ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٥) ودُّوا لَوْ تَدُهْنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٥﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ (٦). وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ

(١) سورة العنكبوت آية: ٦٩ .

(٢) سورة النحل آية: ١٢٥ .

(٣) سورة البقرة آية: ١١١ .

(٤) سورة آل عمران آية: ٦٤ .

(٥) سورة القلم آية: ٩ .

(٦) سورة الواقعة آية: ٨١ .

ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كَدَتِ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَأَذِقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٦﴾ .

ثالثاً: قضية الولاء والبراء: ومعناها محبة المؤمنين ومناصرتهم وبغض الكافرين ومعاداتهم. والله تعالى أمرنا بموالاتة المؤمنين ومعاداة الكافرين. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (٥). إلى غير ذلك من الآيات.

(٦) سورة الإسراء آية: ٧٥ .

(٢) سورة المائدة آية: ٥٥ .

(٣) سورة المائدة آية: ٥١ .

(٤) سورة المتحنة آية: ١ .

(٥) سورة المجادلة آية: ٢٢ .

وليس معنى معاداة الكفار وبغضهم إننا نظلمهم أو نعتدي عليهم. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (١) بل يجب علينا الوفاء بالعهود معهم وأن نعقد الهدنة بيننا وبينهم إذا اقتضت مصلحة المسلمين ذلك وأن نحترم دماء المعاهدين والمستأمنين والذميين وأموالهم وألا نقتل نساءهم ولا صبيانهم ولا شيوخهم إذا دارت المعركة بيننا وبينهم، ولا مانع من التعامل مع الكفار بتبادل المنافع والتجارة والاستفادة من خبراتهم ومصنوعاتهم ولا مانع من مكافأة المحسنين منهم إلينا. كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٢) لا مانع أن نأكل من ذبائح أهل الكتاب ونزوج من نساءهم المحصنات. وهذه تعاملات دنيوية لا تقتضي محبتهم في القلوب بل نتعامل معهم هذه التعاملات مع بغضهم في القلوب.

فدين الإسلام ليس دين محبة فقط. كما يقول بعض الجهال وإنما هذا دين النصارى ولا دين بغض فقط كما يقوله المتطرفون الغلاة. وإنما هو دين محبة للمؤمنين وبغض للكافرين. فالناس

(١) سورة المائدة آية: ٨.

(٢) سورة الممتحنة آية: ٨.

على ثلاثة أقسام. منهم من يحب محبة خالصة وهو المؤمن المستقيم ومنهم من يبغض بغضاً خالصاً وهم الكفار. ومنهم من يحب من وجه ويبغض من وجه وهو المؤمن الفاسق. يحب لما فيه من الإيمان. ويبغض لما فيه من المعصية.

رابعاً: قضية اختلاف العلماء والموقف من ذلك. الاختلاف على أقسام:

القسم الأول: الاختلاف في العقيدة. وهذا لا يجوز. لأن العقيدة ليست مجالاً للاجتهاد والاختلاف لأنها مبنية على التوقيف ولا مسرح للاجتهاد فيها والنبي ﷺ لما ذكر افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة قال: كلها في النار إلا واحدة. قيل: من هم يارسول الله. قال: «هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: الخلاف الفقهي الذي سببه الاجتهاد في استنباط الأحكام الفقهية من أدلتها التفصيلية، إذا كان هذا الاجتهاد ممن توفرت فيه مؤهلات الاجتهاد. ولكنه قد ظهر الدليل مع أحد المجتهدين فإنه يجب الأخذ بما قام عليه الدليل وترك ما لا دليل

(١) رواه الترمذي في سننه ٢٦/٥ برقم (٢٦٤١) كتاب الإيمان باب ماجاء في افتراق هذه الأمة. ورواه غيره بالفاظ أخرى.

عليه . قال الإمام الشافعي رحمه الله : أجمعت الأمة على أن من استبانته له سنة رسول الله ﷺ لم يكن ليدعها لقول أحد .  
 وذلك لقول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ . قال الإمام ابن القيم رحمه الله :

العلم قال الله قال رسوله

قال الصحابة هم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة

بين النصوص وبين قول فلان (١)

وقال آخر :

وليس كل خلاف جاء معتبراً

إلا خلاف له حظ من النظر

وقال آخر :

العلم قال الله قال رسوله

قال الصحابة ليس خلاف فيه

(١) انظر شرح قصيدة ابن القيم ١٥٢/٢ بشرح د. محمود خليل هراس .

ما لم العلم نصبك للخلاف سفاهة

بين النصوص وبين رأي فقيه

القسم الثالث: الاجتهاد الفقهي الذي لم يظهر فيه دليل مع أحد المختلفين فهذا لا ينكر على من أخذ بأحد القولين، ومن ثم جاءت العبارة المشهورة: «لا إنكار في مسائل الاجتهاد» وهذا الاختلاف لا يوجب عداوة بين المختلفين. لأن كلاً منهم يحتمل أنه على الحق.

هذا وبالله التوفيق. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

## المصادر والمراجع

- ١- موطأ الإمام مالك.
- ٢- صحيح الإمام مسلم، دار التراث العربي ط دار السلام - الرياض.
- ٣- تفسير القرآن العظيم. دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- ٤- صحيح الإمام البخاري. المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ. ط دار السلام - الرياض.
- ٥- سنن الدارمي، دار الكتب العلمية، دار احياء السنة النبوية.
- ٦- سنن الترمذي، المكتبة الفيصلية. بمكة المكرمة.
- ٧- سنن ابن ماجه، المكتبة العلمية.
- ٨- سنن أبي داود، دار احياء السنة النبوية.
- ٩- سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
- ١٠- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- ١١- السنة للإمام أبي بكر الخلال.
- ١٢- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي.
- ١٣- شرح القصيدة النونية، محمود خليل هراس، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.